# قراءة في مخيال التصورات الثقافية والايكولوجية لإنسان ما بعد الرقمية. متهات برهان شاوي اختياراً.

أ.م. د عبد الرحمن عبد الله أحمد

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

# A Reading in the cultural and ecological perceptions of post-digital human beings. Burhan Shawi as a model.

Asst. Prof. Dr. Abdul Rahman Abdullah Ahmed.

University of Basra / College of Education for Human Sciences / Department of Arabic Language.

## ملخص البحث

قدمت الرَّوايةُ الجديدةُ التي تنتمي إلى عالم ما بعد الحداثة كشوفاتٍ متقدّمةٍ في مجال البحث والتقصي عن مصير الإنسان وتحولاّته الفكرية والثقافية والايكولوجية، وبذلك غادرت الروايةُ الجديدةُ مركزيةَ الإنسانِ والدخول في جدليةِ مسائلةِ هذه التصورات، وكشف المبعد والمهمش في التجربة الإنسانية ، وأثر ذلك في مخيال التصوراتِ الوجوديةِ والمرتبطةِ بأسئلة (الحضور والغياب)، ومآلات الإنسان ما بعد الرَّقمية وعلاقة ذلك بالتَّصورات الإيكولوجية لا بوصفها مكاناً يحيلُ إلى الداخل(الطبيعة / جمالياً) ،وإنَّما بوصفها شريكاً يحملُ صفةَ التأثرِ والتأثيرِ. ومن خلال هذه الأسئلة ربما يصل الإنسان إلى إجاباتٍ تقرَّبهُ من الطبيعةِ وترجعُ الألفةَ المفتقدةَ بينهما؛ بسبب خطيئة الإنسان الأول وتناسل هذه الخطيئة ومراحل تطورها المختلفة. المتاهات التي قدمها برهان شاوي قراءة ثقافية وأيكولوجية لهذه التداعيات وهذه الورقة البحثية تحاول بيانها وكشف مضامينها بالاتَّكاء على المنهج الإيكولوجي المتداخل مع النقد الثقافي.


الكلمات المفتاحية:(مخيال التصورات الثقافية والإيكولوجي، الرقمية، إنسان الرقمنة، التاريخ والذاكرة).

Abstract

The new novel, which belongs to the world of postmodernism, presented advanced revelations in the field of research and investigation about the fate of man and his intellectual, cultural and ecological transformations. Thus, the new novel departed from the centrality of man and entered into the dialectic of questioning these perceptions, revealing the excluded and marginalized in the human experience, and its impact on the imagination of existential perceptions related to questions (presence and absence), and the fate of post-digital human beings, and its relationship to ecological perceptions, not as a place that refers to the interior (nature / aesthetically), but as a partner that bears the characteristic of vulnerability and influence. Through these questions, a person may reach answers that bring him closer to nature and restore the missing intimacy between them because of the sin of the first man and the reproduction of this sin and its different stages of development. The labyrinths presented by Burhan Shawi are a cultural and ecological reading of these repercussions. This research paper attempts to explain them and reveal their implications by relying on the ecological approach overlapping with cultural criticism.

Keywords: the imagination of cultural and ecological perceptions, digitalization, human digitization, history and memory).

١- مخيال التصورات الثقافية والايكولوجية:

لم تكن أفكار النشوء والارتقاء[١] دالةً بيئويةً قريبةً العهد بنا، بل هي انبثقت من احتفال كرنفالي أنتجتهُ العقليةُ العلميةُ التجريبيةُ في لحظةِ افتراقٍ لمجساتِ المعرفةِ ذات الإطارِ الغيبي، وهي ترجعُ في تاريخها إلى تصوراتِ الإنسانِ الأولِ، إذ نجدها في المخيال التصوري المؤسس للمعرفة الأولى عند السومريين والبابليين والاكديين، وفي الحضارة الفرعونية في مصر معتقدين: « بأن أثرَ الكواكبِ واشتراكِ بعضها من البعض كان السببُ في نشوء الأرض وقد تعاقبت الأحياءُ فيها حتى أنَّهم يرونَ في خلقِ الإنسانِ خرافةً من خرافتهم، إذ يقولون بأنَّه في بدء التكوين لم يكن إلا كتلةً لزجةً من المادة لا شكلَ لها ولا صورة، أللهم إلا نفثة من الحياة نفثها الخالق فيها، ومن ثم أثرت الطبيعةُ في تلك المادة فتغلَّبَ في طورٍ من النشوء بلغت حدَّها الاخير الصورة البشرية»[٢].

هذا النصُ قد يحيلُ إلى التشبث بصدق نظرية النشوء والارتقاء وانتمائها إلى السرديات الفكريةِ الكبرى، وقد ينطبق ذلك عليها، لكن ما يحركنا هنا ليس الصدق والكذب بتطور العقائد والايديولوجيات، بقدر ما نحاول تحريك الذات صوب ضفة البناء المعرفي الذي تَجرَّدَ فيها الإنسان من ميوله واضعاً لبنةً لتدارك الهوة بين المقالات القبلية والبعدية في محاولةٍ لإدراكِ التغيراتِ الكبيرةِ في عصرِ الرقمنة والسيولة الثقافية، لاسيما ما تعلّقَ بالتصورات الثقافية والايكولوجية.

نظريةُ أصلِ الانواعِ خلقت فسحةً من الحوار(بين الثابت والمتغير)

بين العقلِ والمادةِ بين الثقافةِ والطبيعةِ بين الأنسانِ والأرضِ، وهذا ما شكَّلَ ابتعاداً عن المركزيات الفكرية ذات الطابع الشمولي، التي حيَّدت النَّظرَ، وانهت العلاقةَ الحميمةَ بين الإنسانِ وطبيعةِ العلاقةِ الحضوريةِ بينهما، ما أنتجَ تصحَّراً إيكولوجياً لكثير من المظاهرِ التي تبتدأ بالأفكارِ ولا تنتهي بآخرِ شجرةٍ تقتلع.

إن الأفكارَ في مسيرتها التاريخية قد لا تخضعُ إلى مبدأ البقاء للأصلح في المجموعةِ البشريةِ، لكن بقاءها يتشكّلُ وفقاً لتواطؤاتٍ مجتمعيةٍ تتصّفُ بحمولةِ النوعِ وقدرته على خرقِ التوافقِ التطوري بمفهومهِ (التطور الصغروي، التطور الكبروي)[٣] وهذا بحدّ ذاته محتوٍ لفكرةِ البقاءِ الداروينية. لكن الاشكالية الأشمل هي الطبيعة بوصفها كائناً معقداً يتحركُ في إطرٍ كبيرةٍ من التصوراتِ العلميةِ المعقدةِ التي قد لا يدركها البشر، وتحاولُ الطبيعةُ زجَّ بقاءها، وعلى الرغم من التحديات الكبيرة التي يمارسها الإنسانُ في سبيل تحقيقِ هيمنته عليها؛ وهذا ما يحرك (الدراسات الثقافية والنقد الثقافي) ومعها الدراسات (الايكولوجية) إلى السعي لتأسيسِ مشروعٍ إنساني جديدٍ لوجدنا في العالم، عمادهُ نظرةٌ جديدةٌ تؤسس لحضارةٍ جديدةٍ،» أساسها الانسجامُ والتوافقُ والتناغمُ بين الانسانِ والطبيعةِ.

إن اخضرارَ العلومِ والدراساتِ الإنسانيةِ والفلسفيةِ بشيرُ إخضرارِ وجودنا على هذا الكون، الذي نشأنا من ترابه «[٤].ولذلك يمكن القول إنَّ (مخيال التصورات الثقافية): هو الصورةُ الذهنية ُالتي تنتجُ المعرفةَ الإنسانية وتحيلُ إلى نوعٍ من العلاقةِ المقترنةِ بالفوقيةِ من قبيل (الفوقية الذكورية) التي تشكَّلُ

أساسُ المعتقداتِ والممارساتِ التي تفضَّلُ الرجالَ على النساء، وهذا ما رتَّبَ تفضيلاتٍ أخرى كـ(الفوقية البشرية)،بمعنى تفضيلُ الإنسانِ على الطبيعةِ وتقديمِ مصالحته على مصالحها،إذن التصوراتُ الثقافيةُ مقدمةٌ ضروريةٌ لمعرفةِ إشكاليةِ العلاقة بين الإنسانِ والطبيعةِ، وهذه العلاقة ترافقها علاقة مكملة تنتجها الصورة الذهنية الإيكولوجية التي تصدر من الطبيعة إلى الإنسان عبر إدراك سرَّ هذه العلاقة واستغلالها، ولا غرابةَ بأن تكونَ المنتج الأول للمعنى هي الطبيعةُ؛لأن حَضُرَها قبلي، ولهذا يبتدأ المعنى منها، التداخل بين هذه التصورات الثقافية والأيكولوجية ضرورةٌ ملحّةٌ لمعرفةِ سلسلةِ التطورات للبقاء الإنساني[٥].

ربما التحوّل التقني الهائل أحد أهم المخاطرِ التي تطاردُ البقاء الإنساني[٦]، فظهورُ مصطلحُ (الرقميةُ والانسانُ الرقمي) يقابل في الدراسات الثقافية التَّحول في صورةِ المادةِ مهما كَبُرَ حجمها إلى حيزٍ نانوي يختزلُ الوقتَ والجهدَ، ليكون متاحاً وقابلاً للتجدّد ولا يمكن امتلاكهُ بصورةٍ كاملةٍ وهو مباحٌ إلى الجَّميع[٧]، وقد لا يمكن التَّحكمُ فيه، بمعنى جعله جزءاً من الذكاء الصناعي.

وهذا ما يجعلها منتجةً إشكالاتٍ بيئويةً قد لا نعي ظواهرها، إلّا أن نتائجها بدأت تبدو ظاهرةً مع بداية تاريخٍ جديدٍ للأوبئةِ لاسيما جائحة (كوفيد ٢٠١٩) مثلاً، التي شكلّت للبشري تحدٍ ربما كانت التقنيةُ واحدةً من أسبابها، أو هي جزءٌ من إعادةِ نشاطِ الطبيعةِ لنفسها؛ كي تعطي للبشريةِ جرعةً مراجعةٍ للنشاط الذي أسرف في استنزاف الطبيعة، وتحويلها إلى بيئةٍ طاردةٍ تغادرُ منطقة الأمانِ التي

تمثّل صفةً كامنةً فيها « فالأحاديثُ عن تغيّر المناخ واحترار الكوكب، والتلوث الشامل للبحار والمحيطات والأنهار والأجواء والتربة،على كل شفة ولسان منذ نيف وثلاثة عقود. وهي تطوراتٌ باتت تهددُ ليس بقاء الجنس البشري وحسب، بل أيضاً مصير الحياة برمتها على هذا الكوكب »[٨]. وبطبيعة الحال فإن تهديدَ الكوكب يحكمهُ مخيالُ التصوراتِ الايكولوجيةِ والثقافيةِ والرقميةِ التي يحملها الإنسان لتكوَّنَ سلسةً من التاريخ والذاكرة المنتخبة التي تنعش بقاءه وتوقف الطفرات الفكرية المساهمة في تغيير مجاله الحيوي.

٢- التاريخ والذاكرة:

التاريخُ يوصفها معرفةً تستهدفُ خطَ الشروعِ الإنساني ضمن مساحة الما قبل والما بعد، فهو(أي التاريخ) خاضع للحسابات الزمنة (الماضي، الحاضر، المستقبل)، وهو أيضاً شريكٌ مؤسسٌ للمعارفِ المرضي عنها داخل رواقِ المؤسسةِ التي تراعي أهدفها وتشاركُ في ترسيخها، لكنَّهُ في الوقت نفسه(أي المعارف المرضي عنها)هي كائناتٌ حيةٌ خاضعةٌ لمبدأ التطوراتِ (الصغرى والكبرى)، يدفعُها تحولٌ بنيويٌ داخل المجتمع الذي يسعى دائماً إلى تأسيسِ وعي يتماشى والتصوراتِ القائمةِ على فكرةِ البقاء عبر شحذِ الذاكرةِ المجتمعيةِ بكمٍ هائلٍ من التَّصورات لكيانٍ مجتمعي يحافظُ على تخيلّاته الخاصة عبر الذاكرة[٩].

فالأممُ في تاريخها الموثق هي غيرها في ذاكرتها،إذ دائما ما تُرسخُ القيمَ المرضي عنها وتُعلي من الانتصارات التي حققتها عبر مسيرتها الزمنية، بمعنى أن الذاكرة انتقائية في تقديمِ تصورتها بعكس التاريخ الذي يتصّفُ بالتسلسل الزمني والتدفق

والجريان،كما أن التاريخَ المكتوبَ تجّده في الحيّز نفسه مكتوباً بنسختين نسخة المؤسسة الحاكمة ونسخة المؤسسة المعارضة وكذلك ترافق الذاكرة هذه النوع من التمثّل، إذ تنتج هي الأخرى نسختين انتقائيتين، وهذه الجدلية نجدها في المنظومات الاجتماعية الكبرى والصغرى، وفعل التاريخ فيهما تنظيمي، أما الذاكرةُ فتقعُ في دائرة الحفاظ على النوع البشري، كما أن هذه الملحوظة التأسيسية قد لا تشمل المجتمع برمته فهي خاصة بفئة أو توجه(فكري أو سياسي) أو في مذهبٍ ديني،أو في دينٍ على حساب آخر.

هذا ما يجعل الذاكرة تُقصي التاريخَ الموحدَ للأمةِ الواحدةِ (الدولة على سبيل المثال) وتؤسسُ عَمَلَها الخاص، وتحاولُ إحضارَ التاريخِ والدولةِ معاً إلى أحضانها تحت منطقِ المظلوميةِ تارةً أو القوميةِ تارةً أخرى، أو الانتماءِ إلى توجهٍ إقليمي تضمّن الجماعةُ والذاكرةُ من خلالها تحقيق العدالةِ الواقعيةِ عبر المال والجاه والقوة والكذب والتلفيق، وهنا تتطورُ الذاكرةُ وتتحوّلُ إلى نسقٍ مترسخٍ في إنتاجِ المعنى وتحقيقِ المكاسب، بعيداً عن المصلحة العامة.

وشاهدُ ذلك ما مرَّ في العراق بعد التأسيس من العام ١٩٢٠ إلى العام ٢٠٢٢، إذ انتصرت الذاكرةُ على التاريخِ وانتصرت القبيلةُ على القانونِ وانتصرت الفئةُ الصغرى المجتمعيةُ على الفئةِ الكبرى (الدولة بوصفها كياناً متجانساً من فئات مختلفة)، ولذلك نجد تاريخاً واقعياً مليئاً بالدماءِ يرافقه عودة مستمرة إلى الماضي من أجل إذكاء روح الذاكرةِ وشحذها بالتصورات المتخيلّة؛ كي تبقى مستمرة في صراعها مع الآخر ابن جلدتها... هذا ربما يقود إلى الموت الحتمي لفكرة الأمة الواحدة

ذات البعد الإنساني وهي كفيلة ببقاء الجماعات وغياب الدولة وأن حضرت بشكلها المعروف[١٠].

إن ما يطرحهُ التاريخُ تحوَّرهُ الذاكرةُ وتأسطرهُ الرغبةُ لتجعل منه أداةً لإعادةِ صياغات النهايات الحتمية، واحدً من الكتابِ الروائيين كبرهان شاوي انتبه إلى هذه الإشكالية الفلسفية والثقافية ذات البعد الايكولوجي في نتاجه المعرفي الروائي، إذ استطاع بعقليةٍ جدليةٍ مغادرةَ منطقة التاريخ وأصواتِ الذاكرةِ وإشارت البنى المترسّخة في مسيرةِ الإنسانِ وحركةِ المخيال المجتمعي وطبيعة الثقافة الرقمية الهائلة، ليصل كما حددت المعرفة الإنسانية كشوفتها على يد(دارون و جون لوك، وكانت وشوبنهاور ونيتشه وابن سينا والفارابي)، الى فرضيةٍ تنص على أن البشر كائنات تبتعد عن الحقيقة بمقدار ما تقترب من العدم[١١].

حاول برهان شاوي أن يخترق الذاكرة المجتمعية ويؤسس لوعي روائي عالٍ عبر رحلةٍ من المتاهات (متوالية روائية / سلسلة من الرواية تحكمها فكرة واحدة) ابتدأت بروايته مشرحة بغداد ٢٠١٢ وبعد ذلك شرع بعرض (متاهة آدم،ومتاهة حواء،و متاهة قابيل و متاهة الأشباح، ومتاهة إبليس، ومتاهة الأرواح المنسية، ومتاهة العميان، ومتاهة الأنبياء، ومتاهة العدم العظيم)، وستهتم الدراسة بأربع من المتهاتِ التي تمثّلُ القاعدةَ الأولى لأفكارِ الكاتبِ وبحثهِ المعرفي والفلسفي...ليس غريباً أن يتدرّجّ برهان شاوي في عرض متاهات الذاكرة عبر مخيالٍ تراكمي ترسَّخ في ذهنيَّة المجتمع وتحوَّل إلى أيقونةٍ تبشيريةٍ جنتْ البشريةُ فداحتها، وأظهر الكاتبُ هذه التصورات في

طيَّات متاهتهِ التسع، فهو يقول: «من أين يستمَدُّ الكاتبُ والمبدعُ بشكلٍ عامٍ مادته الابداعية ؟، من الذاكرةِ الفرديةِ أم من الذاكرةِ الجماعيةِ ؟ أم من الوعي الذاتي أم من الوعي المجتمعي، وكيف يمكن للاوعي الفردي والجمعي أن يتداخل في العمل الابداعي؟ وكيف تُولَّدُ الشخصيات في مخيلته الإبداعية؟ هل تمرُّ بمرحلةِ كمونٍ أو حَملٍ كما تحملُ المرأة أو أنها تنبثق فجأة وتقفز من العدم؟ هذه أسئلة وغيرها كانت تلحّ عليه كلما خطط لكتابة روايته »[١٢].

كل هذه الأسئلة الإشكالية تغادر منطقة الحكي والمتن الروائي وتحطَّ في ذهنيَّة برهان شاوي خارج إطار التاريخ، وهو يحول أيضا الانفلات من شبح الذاكرة الفردية والجماعية والدخول في السائل الهلامي للأفكار ومعرفة بواطنه عبر الرجوع بولادة أخرى تكشف مفاتن الغواية وتصحر الذات وانكفائها، إنَّها غايةُ العارفِ والباحث عن إشكالاتِ الاسئلةِ المغيبة.

فالولادةُ عنده متاهة تحمل بنيتها في الصيرورة والبقاء، ولادةٌ تُمسكها عصا أبليس بالمعنى الوجودي، وتُنْتَجُ على يد آدم المستمر بالظهور التطوري أنَّه كائنٌ داروينٌ (كما يراه الكاتب) يحملُ بذرةَ تطورّهِ ليس بجسدهِ الزائل، إنَّما في أفكارهِ:» دوّى انفجارٌ هائلٌ فاهتزت البناية. فزَّ الكاتبُ (آدم البغدادي) من نومهِ مرعوباً على صوتِ الانفجار الذي إرتجت جدران الشقةِ وأرضيتها من قوته «[١٣].

الانفجارُ الكبيرُ ومخاضات الصيرورة الأولى في مدخل الرواية، صورةٌ متكررةٌ عند أدم المتغيّر في التسمية (تاريخياً وفي فعل الذاكرة أيضا) لكن لحظة الولادة متحققة مع حقبةٍ تاريخيةٍ تحملُ جملةً عبثيةً متصّفة

بالاستمرار،ومبنية على مشاهد القتل والدمار « لقد غرق في نومٍ بعد أن وضع بَعضَ اللمساتِ، هي مشاهدُ وفصولُ روايتهِ الجديدةِ التي خطَّطَ لها منذ فترة وأنجزها بالأمس » [١٤] جورج لوكاش يرى أن الاساطير تحمل في ذراتها غبار الحقيقة[١٥] لكن برهان شاوي يجسد هذه التصورات ويجعلها جزءاً من صورة البقاء الذي يحمل هيأة السقوط من الاعلى، إذ تعددت أشكاله، فالسَّقوط السَّماوي إلى الأرضي متاهةٌ كبيرةٌ جعلها الراوي العليم (آدم البغدادي في الاستهلال) عنونَةً تحملُ تسميةً ستكون جزءاً من سلسلةٍ من الروايات التي حملت عبأ الذاكرة وجَسَّدَها بتسميةٍ نمطيةٍ متكررةٍ عنونها بـــالمتاهة.

تكرارية الحدث والتسمية المُموهة (آدم البغدادي، آدم التائه، حواء المؤمن، حواء البصري...الخ) شكَّلت مبنىً دلالياً يحيل إلى فكرة التلازمِ السكوني لفعل الشخصية وحركتها نحو الخطيئة والانغماس في عالم اللذة، إنَّه انقلابُ الضدّ وتغيَّر القيمة المرهون بمساحة الكسب واستغلال الضحية لأهدافها.

يقول الراوي العليم: «ثمة فكرة طالما شغلتني: كيف يتغيَّر الإنسان وينقلبُ إلى ضده » [١٦] في إشارة إلى حواء البصري التي كانت مع حواء المؤمن في محنتها الأولى وطلاقها من زوجها الأول، لكنها انقلبت عليها حين شاركتها بيتها لتكشف في النهاية أنَّها على علاقة مع حبيبها الأول التي كانت تسعى إلى الرجوع إليه لكن غواية حواء البصري حالت من دون ذلك[١٧].

استحضارٌ مفاهيميٌ يثبتهُ برهان شاوي ويتكرر مع تحولّات الرواية وتطورها، فهو يخرج من إطار

القيمة التاريخية للأخلاق، ويبقى يُعمل الذاكرة المختبئة في اللاشعور، لتكون حاضرة متى ما تهيّأت لها الفرصة. وهذا ما جسَّدهُ سلوك أبي آدم البغدادي الذي حاول اغتصابَ زوجةَ ابنهِ مِراراً، ورضّا الزوجة التي مانعت في البداية لكنها استحضرت الشهوى واغمضت عيناها من هول الكارثة التي يقترفها الأب تجاه زوجة الابن. فعل الأب تجاه الابن لم يكن مبرراً إلّا إذا علمنا أن الأب ينظر إلى أبنه بوصفة خيانة أخرى اقترفتها زوجته مع عشيقٍ لها، وحملت بابنهِ الذي ليس من صلبهِ؛ لذلك فهو يعاقبُ زوجته المتوفية وابنه عبر اغتصاب تلك اللحظة المريرة من خلال هتك العرض وقتل فكرة الأبوة، هذه الأبوة التي ينقلنا برهان شاوي بعيداً عن دائرة العائلة عبر تأويل هذا المشهد، وتحولّاته، إذ ينطبق ذلك السلوك على فكرة الإنسان الذي يحاول اقتلاع جذوره من أرضه عبر حرق هذه الأرض وقتل أسباب الحياة، تلك الإشكالية التي تؤرق برهان شاوي ويتبنها عبر(متخيل الذاكرة الجماعية والثقافية) واسترجعها بوصفها جزءاً إيكولوجياً من عوالم تحرك فواعل إنتاج اللحظة التي تتسّم دائماً بفعل الانفجار المكاني، كما في المقدمة أو بالانفجار المعرفي الذي يغيَّبُ فعله الإدراكي الأليف ويحضر فعل التوحّش، هذا الفعل الذي يتكرر باستمرار..

نجد آدم التائه في إحدى مقاطعِ الروايةِ بتثبيت (ال التعريف) يعني حضور الوعي والإدراك حتى وإن أشارت كلمة التائه إلى غير ذلك، لكنَّهُ يستحضرُ الاسمَ نفسه في مكانٍ آخر، خالٍ من ال التعريف (آدم تائه) في غلاف روايته كوابيس القنفذ [١٨] (المتن الروائي الآخر داخل الرواية

نفسها التي كتبها بطل الرواية) إمعاناً في غياب الوعي وانتهائه. حتى القانون الذي يتشبث به البشر يمكن أن يغيَّب وعيهُ ويتحوّلُ إلى أداةِ موتٍ أخرى لمعنى الحياة [١٩] الحياة إذا لم نسير على قانونها ستحوّلنا إلى أجساد برأس حمار[٢٠].

ليس هناك حيّزٌ مكانيٌ وروائي واحد لاشتغال برهان شاوي في المتاهات [٢١]، فهو امتدادٌ لكل حيّزٍ أخضر على الأرض تيبَّستْ وتجمَّدتْ أطرافهُ بفعلِ التحوّلِ الكبير الذي أصاب الذهنية المجتمعية، فأمسى المكان حاوياً لتشظي الذاكرة واندماج التاريخ الممزوج برغبة الازاحة، وهو جحيم آخر وتعالق ذهني مع (جحيم دانتي أليغيري) في طبقاتهِ التسع، تلك الطبقات التي تحملُ طابعها من الرقمِ تسعة بمدلوله الرمزي، كونهُ يحيلُ إلى صفةِ التعاطفِ والرحمةِ والبقاء، وهي إشارةٌ إلى الولادة المستمرة والتكاثر غير المحدد بقاعدة، فضلاً عن أنَّها تمثّلُ الوجه القبيح الآخر للحياة المتمثّلة بأفعى (الهيدرا) التي كانت بتسعة رؤوس[٢٢]، برهان شاوي يحاول خلق معنى جديداً عبر كشف المتاهات في رواياته التسع التي تمثّل رحلة الإنسان ويقظته وموته وإعادته عبر الكتابة..

التصحرُ البيئي ليس تجسيداً عيانياً فقط، هو حالةٌ ذهنيةٌ تنتقلُ من الكائن إلى المساحة بوصفّها أداةً للصيرورة، فإذا كانت هذه المساحةُ محاطةٌ بانشطارِ الذاتِ وعدمِ القدرةِ على رسم حدود الواقع إلّا على وفق صيغ ثابتة تتحرك لتنتج هيئات سبق أن ولِدتْ قبل أوانها وهي تولد بمحض إرادتها حتى تكتمل الدائرة وتعاد (هذه الدائرة) في صيرورتها، وهذا ما يجعل الحماقة بديلاً ناجعاً في بناء المعرفة وبالتالي القصور في التصور، وأبعاداً

مستمراً للواقع الآني، تلك هي غابات التحجّر في عمق المدينة وهي عشبة معلقّة في جدار متهالك، يقول برهان شاوي في متاهة حواء: « إيقاع الحياة هو ذاته.تقارب جسدي وسفر في أقاليم اللذة واكتشاف للقارات المخيفة والمحرمة، وحميمة روحية تحت ظلال الرومانسية وحوارات فكرية ونظرية تتجّه نحو اليسار بشكل واضح » [٢٣].

الواقعُ والحياةُ كما يتصورّها شاوي لحظةٌ حميميةٌ متكررةٌ وولادةٌ شبقيةٌ تؤجلُ المعنى لتحيله إلى الهامش، فليس ثمة نظرية يمكن إعادة تبويبها لكشف تداعي الذاكرة وانحطاط تاريخ الأشياء،ثمة فجر أسود يحط في بيت مملوء بالرجال أصحاب اللحى وثمة رجل مقيد في غرفة مظلمة وسكين تمر على رقبة آدم المحروم فتمتلئ الغرفة برائحة الموت «نفر الدم من عنقه غزيراً ولم تمضِ إلّا دقائق حتى تسربت الحياة من جسده، أسلم الروح، امتلأت الوسادة والشرشف بالدم وتلوث السرير من جهة الرأس، تلوث الحائط، تركوه ملطخاً بدمه وغادروا الغرفة والمنزل بسرعة »[٢٤] ترى عن أي جريمةٍ يتحدثُ الشاوي؟، فحضور (قابيل وهابيل) تصورٌ اوليٌ وبدايةٌ تحضّر في(ذاكرة الحكيّ) الذي ينتصر لها الإنسان ويدعمها التاريخ لتتجدد وتستمر بالصيرورة تحت هذا التداخل، فهي متاهة تتناسل خيوطها وتتكرر مشاهدها عبر سير الحكيّ داخل الرواية وفي رمزية القصة التاريخية المعروفة عن نزول آدم وحواء من الجنة إلى الأرض (جحيم الإنسان وعذاباته) « حبّها لآدم المذبوح ذات فجر بغدادي، قد أضاء عتمة رحمها، فأوقدها بطفلها الرضيع هابيل، في هذه الظلمة التي تعيشها لم يبق لها سوى مصباح القلب، إذ على هدى

نوره عليها أن تمضي مع طفليها، آدم الملاك من زوجها الأول الشهيد، وهابيل من حبيبها المذبوح»[٢٥] ثمة تناص دلالي رمزي يتطوّر في داخل الرواية، ليقول إنَّ آدم لم يكن مشاركاً في الجريمة الأولى على الرغم من كونها البداية الأولى في سلم التطوّر الذي أسسهُ هابيل وتبعه في إسكات الخصوم عبر ذبحهم لتتناسل الجريمة، ونستنتج موت مؤجل يشاركُ فيه القاتلُ الأولُ الذي ينتقل زمنياً بين العصور، آدم الطيني الذي انبثق من روح الله وحواء (الرحم المنتج)، ولدٌ كائنٌ مسخٌ اسمه (الإنسان / قابيل) المتكرر في كل زمانٍ ومكان...

إذن موتُ الأمكنةِ وضياعها في المشهد الروائي في رواية المتهات قاسمٌ مشتركٌ بوادرهُ في التصوّرِ والتداخلِ الزمني والمكاني، والغرائبية المتكررة، ليكون هذا التصوّر سلوكاً فعلياً مشاهداً ومتوقع الحصول، وسيحصل، ولا نهاية له، عراق الما بعد ليس كائناً جديداً هو انتماء إلى عراق الما قبل ومثلث الرؤية واحد (آدم، حواء، قابيل) لا يتغيَّر وإنما المغيَّر هي الأداة، فالموتُ عند شاوي صورة تتحرك في(الإنسان عبر تاريخه وذاكرته).

الأسئلةُ وربما كانت مراسيم الدفن في كل الأزمنة بؤرة لانطلاق الأسئلة والبحث عن المعنى أمام ثقب اسمه القبر، الذي يحمل كماً هائلاً من علامات الاستفهام « كان آدم التائه مأخوذاً بالمشهد الذي رأى فيه اختصاراً لكل مقولات الحياة ومعناها والوجود وضرورته، وكل تفاهاتِ الأساطيرِ البطوليةِ، وصراع الأديانِ والمذاهبِ والسياسيةِ بكل تبريراتها، والتعصّبِ بكل أشكاله»[٢٦].

ثمة زاويةٌ وجودية ٌيتحركُ برهان شاوي في إطارها،هي كفيلةٌ

بتعريةِ اللحظةِ وغيابِ معناها الحقيقي، وحدهُ حفارُ القبورِ وحارسها وأمامِ المسجد من حفظوا أسرارَ اللحظة وعرفوا كيف يستغلون الموتى قبل مماتهم وبعده، أمَّا الأسئلةُ فستبقى حبيسة َالقبورِ وهي باقيةٌ في أذهانِ من يحضرون، وسرعان ما تختفي تلك الأسئلة، لكنه (آدم التائه المتعالق مع الأحياء والأموات يكشفُ هذا الاضطراب عبر محاور الرواية ومركزها المنتج «وجد نفسه وحيداً وغريباً وفكر،(«كل منَّا يذهب إلى موته وحيداً)،لا أحد يذهب مع الأنسان عند موته إلى البعث والنشور،بلا زوجته ولا أولاده أو بناته لأمهِ وأبيه، كل يذهب وحده،لكن إلى أين ؟ هل تعود الروح إلى روح الربّ، هل تعود إلى السكون المطلق، أو النيرفانا كما يقول بوذا، هل هناك عقاب وثواب حقا؟ هل هناك بعث ونشور حقا؟، كيف يتم البعث والنشور بينما تختلط أجساد البشر مع بعضها في قبر واحد؟ وكيف يتم بعث ونشور الهنود بينما ذات أجسادهم تختلط في نهر الكنج المقدس وتُهَبُ إلى المحيط؟ أو الذين تذر رمادهم في الريح؟ أو الذين تناهشت أجسادهم الوحوش المفترسة أو الطيور الجوارح والاسماك والكواسج في البحار؟»[٢٧] لمَ الموت والنشور ولمَ الجريمة المتكرر ولمَ هذا القبر إلى اين يفضي هذا الصوت المنيع؟ فالجدران تحول من دون سماع النداء « إذا لم يكن ثمة ثواب وعقاب، فلماذا خلق الإنسان؟ هل هو لعبة حضارات كونية قريبة منَّا، زرعت البشر كحقل تجارب لها؟ لقد قرأت شيئاً من هذا القبيل، لكن من خلق مخلوقات تلك الحضارات وهل هؤلاء يؤمنون بالله؟ أو هو لديه أسم آخر لهم؟ لو لم يكن ثمة خالق، فهل سيكون شيء مباحاً،

ويتساوى الخير والشر؟ كانت الأفكار الحزينة والغامضة، تَتكسَّرُ على ساحلِ ذهنهِ مثل أمواجٍ عاتيةٍ تأتي من العدمِ ثم تتلاشى، فجأة، انتبه إلى ايفا (حواء) جايكوفسكايا تقف إلى جانبه وتهمس له: أتأتي معنا؟ نحن نتوجّه الأن إلى المستشفى لرؤية الأم. نظر إليها نظرةً غامضةً، وكأنَّه مأخوذٌ بشيءٍ، ثم قال بعد ثوان – نعم نعم بالتأكيد سآتي معكم «[٢٨].

نجد الراوي في النص أعلاه يتأمل مع (آدم التائه) ثقب الأرض المؤدي الى رحلةٍ جديدةٍ تدور بين ضياع الأسئلة المتولدة من رحم المأساة وبين هروبها، ومن ثم رجوعها إلى صندوقِ الأرض المقفلِ غير عارفٍ بمآلهِ الأخير.

اذن متاهةُ قابيل شحنةٌ من الموتِ المؤجلِ التي يضعها الشاوي أمام المتلقي ليؤسس منظوراً ذهنياً لكل الإشكالات التي تمرُ عليه، معتمدةً سيكولوجية الذهان والخوف من الآتي. الآتي المتحقق أمامهُ فضلاً عن مقولات الحياة التي تمثّلُ ربما كذبة كبيرة سجلها أبطال خرافيون تحكموا في أهننا، فنتَمثلها من دونَ درايةٍ، نصدقها وتصبح حقيقةً ماثلةً، ولكنها في حقيقتِها محضُ صراعٍ بين ضدينٍ بين أديانٍ تأتي وتبقى وأديانٍ تأخذُ أجسادَ مريدها إلى منطقةٍ معتمةٍ لا تعرفُ حدودها إلّا عبر التمذهبِ أو بوساطةِ السياسيةِ ورجالِها الذين اعتادوا قولَ الحقائقِ التي تنتمي إلى رغباتهم بعيداً عن الحقيقة.

ولهذا تشَّكل صراعُ الذاتِ داخل المتاهة من تداعياتٍ عديدةٍ مع التاريخ ومع الإنسان والبيئة وتاريخ التطوّر، والرقمنة، وكل هذا أنتج أسئلة تحتاج إلى إجابة مستفيضة، وربما دمار الطبيعة وتأزم اللحظة الحاضرة سببه

هذا الغياب المطلق لهذه الأسئلة التي طرحها برهان شاوي وحاول كشف فعلها الايكولوجي والثقافي[٢٩].

وهو ما ولدَّ غياباً ستظهرُ إشكالاته عبر بيئةٍ هزيلةٍ تحتفي بالموت والنهايات بدلاً من الحياة والتجدد والاخضرار، ومبدأ التطور مرحلة لا تنتهي ببكائيات قادرة بحفظ بقائها،وإنما قادرة على خلق تصورات ذهنية وفكرية يمكن أن تجد أثرها في شجرة وارفة أو في نخلة تشاركك لحظات التأمل وإعادة الاطمئنان لسيرة بقائها على الأرض لكن المتجدد (آدم)الذي لا يتخطّى الجريمة الأولى ظل يحرق أفكاره فاحترقت الأرض بأفكاره، وإلى الآن لا يمكنه إطفاء الشحناء والبغضاء والكراهية والموت والقتل، ممّا خلف استقراراً لحالة الذَّهان التي ترافقهُ أين ما حلّ.

إن الوعي والقصدية وإنتاج المعنى مرحلة متقدمّة في النماء لكن أن تعيش مرحلة الغياب غياب الأمكنة وتحول الزمان ومسارته وتغيَّر الوجوه ونمطية الأسئلة بأجوبتها الجاهزة،فهذا كلهُ يشيرُ إلى ذهانٍ معرفي، لاسيما حين اكتشف آدم التائه أنَّهُ يعيش التصورات الشبحية التي ليس لها أساس في الواقع فلا وجود (لإيفا سكندروفنا)،و (إيفا جايكوفسكايا)، وكل من مات في الأمس ودفن في مقابرِ المسلمين [٣٠] محضُ ذهانٍ وغيابٍ مطلقٍ للوعي «حين عاد آدم إلى غرفة الفندق كان خائفاً، ليس من الأشباح والأرواح التي تتراءى له، وإنَّما من نفسه، أمن المعقول أنَّه لم يقابل إيفا حيكوفسكايا في المحطة أصلا، وأليس هناك إمراة بارعة الجمال أسمها إيفا إسكندروفنا ؟ وانَّه لم يكن عندها في البيت، ولم يكن هناك من مات ودُفن؟ بل وهو لم يكن في المسلخ أيضاً؟» [٣١]

ثمة ما يحرك لدى المتلقي هذا الاستحضار المتعمد لنهاية النص بمفردة (المسلخ) بوصفه يمثل الحياة حينما تتحوّل الأجساد المعلقّة إلى كتل متيبسة في غابة محترقة، أو ذاكرة مشوَّهة لا تحاط بمعرفة وليس لها انتماء، لتكون كائنات جغرافيتها غير مكتشفة، وماضيها لا حدود له ومستقبلها الآتي مجهول. صيحة كبيرة على المتلقي فهمها وهو يقرأ المتاهات التي تمثّل إبهاراً زائلاً للحقائق. إنَّها رحلة بين عالم علوي غير مفهوم بمعناه الوجودي (كما يدعي الراوي العليم) وبين الواقع الأرضي، «حيث الخير والشر في صراعهما الابدي » [٣٢].

متاهة قابيل مع أخيه هابيل محركٌ فاعلٌ في نسيجِ بنية الرواية (الرواية بأجزائها التسع) لكن برهان شاوي يحاول عكس الإشكالية لتكون العلاقةُ الايكولوجيةُ الذهنيةُ قائمةً على تشابكٍ آخر، فواعلهُ امرأتان (حواء الغرب إيفا وحواء الشرق (الصحرواية) وطبيعة العلاقة الغربية بينهما(السحاقية) تلك التهمة التي حاولت أيفا أبعادها عنها لاسيما بعد أن رفع زوجها قضية يطلب فيها أخذ ولديه بسبب هذه العلاقة الشاذة مستنداً إلى ما أثارهُ صديقها السابق عن هذه العلاقة. وإن آدم التائه سيكون طرفاً في هذه الإشكالية ومحاولة تبديد هذه التهمة سيكون الصديق والحبيب لهما أمام الجمهور وفي الوقت نفسه سيكون آدم مشروع زواج لحواء الصحرواية التي تحبّها أكثر من نفسها « أنا أريد أن أكون معك، وأكون معك. لكني في الوقت نفسه، أحبّ أن تكون صديقتي حواء الصحراوي، مع رجل مثلك »[٣٣].

ثمة تضاد بين الرغبة والمحبّة، أيفا ليسنج امرأة بيضاء تعشق الشرق

بصحرائه، تعشق ذاك العالم على وفق التصورات المنسوجة التي أسس لها المخيال الغربي: ليالٍ حمراء ونساء ورجال لا يشبعون من الرغبة، لكنها الآن تعيش الرغبة مع امرأةٍ سمراء لتنتقم من ذكورية الرجل الأبيض زوجها المتباهي بنفسه وثقافته وعدد الكتب التي يقتنيها في بيته، وتنتقم من نفسها حين تقدم عشيقها الشرقي آدم التائه هدية لها. صراع جدلي بين حضارتين بين الصحراء والمدينة بين التمثّل الجسدي وبين التمثّل الروحاني، وبين مثقف الألفية الثانية الرقمي وتطورها المادي المخيف عند الغرب،إذ اختفت العلاقة الواصلة بين طرفيه وأمست الإشكالات تأخذ أبعاداً تمثّل جوهر الاستلاب عبر غرائبية مقصودة يحاول شاوي تقديمها للقارئ ليعبر عن الذهان الايكولوجي الإنساني بين ثقافتين وحضارتين مختلفتين في التوجّه والتعبير عن مكنونات الجسد، في تلك البيئتين الحوار متنامٍ يصل إلى قمة الدلالة ويتهاوى حين نكتشف لحظة الوهم والفقد المستمر التي يعيشها آدم التائه في الألفية الثانية مع شخوصه وعلاقته مع السلطة ونظام الحكم [٣٤].

يلوح برهان شاوي إلى خط مشروع آخر يفكّك الذهان الثقافي الذي يعيشه الشرقيُّ قبل الغربيّ في علاقته مع السماءِ؛لأن حكمَ السماءِ مختلفٌ عن حكمِ الأرضِ وطبيعةِ العلاقةِ بينهما مضطربة لا وضوح فيها على حدّ توصيفه في المتاهات. أنَّها علاقة تشبه سجن هدهد حكيم في قفص وعلى سليمان استنطاق حكمة الشرق لمعرفة الوهن الحاصل والشرخ الكبير المتمثّل في صراع الحضارات وتقاتل الأخوة الذي انعكس على الطبيعة وعلى الحياة بعمومها.

إن صراع الأضداد ولد مساحة

المعنى المستلّب التي عبر عنها آدم البغدادي كما قلنا سابقاً في تأملاته ومغامراته: «فقال لها: إنَّه لم يقرر بعد، لكن ثمة مخاضات داخله، تلمح له بأنه سيبدأ بالكتابة قريباً، فمسألته عن طبيعة روايته المقبلة، فقال لها إنَّهُ لا يعرف ذلك بعد، ولم يحدده، ولكن ثمة أسئلة تتشكّل وتتدخل في أعماقه، عن المسافة بين الواقع، واللا واقع، فاستغربت التعبير، وسألته إن كان يقصد الوهم والواقع، فقال لا. لا أقصد الوهم وإنما أقصد الرؤى التي نصادفها في حياتنا وكأنها أشياء محسوسة ومرئية، ولكن يتضّح أنَّها غير واقعية، وغير مرئية، ولكنها على الرغم من ذلك كانت واقعية جداً، إذن أين هي المسافة بينها وبين الواقع الملموس والمرائي؟ »[٣٥]

هل ثمة جدران بين الحقيقة وما نراه؟، الواقع أنَّها مساحة من المعنى المحسوس والمشاهد وغير المصدق، ولكن هذا الغياب تحول إلى حقيقة نصدقها ونعتقد أنّها أداتنا في الكشف عن الثقافة بمعناها العام التي تمارس عنفاً رمزياً في فواعلها، كما يقول بورديو من لحظة الولادة إلى آخر ذرة تراب ترمى على جثته الهامدة في قبر مظلم[٣٦] فالظلام ليس انتماء إلى قبر يغشى الجسد أنَّه ظلامٌ تعيشهُ الذاتُ الإنسانيةُ في حيّز(نشيد الشبح الحزين) في متاهته كما يصورّها برهان شاوي، ذلك النشيد المعبر عن هذا الظلام « لقد آن الأوان، لقد اخضّرت أوراق الابجدية، أذن، لهم الأنبياء ولنا المصاحف والتعاويذ والكتب الصفراء، لهم الليل يقودنا فيه إلى المعتقلات، وإلى المقابر الجماعية، ولنا شمس الظهيرة الحارقة، لهم ضفاف دجلة والفرات، ولنا هجير الصحراء، وغبار السموم الخانقة / لهم الشوارع

العريضة التي تسير فيها مواكبهم، ولنا الأزقة والأرصفة المحفورة، لهم النبرة العالية،ولنا الصوت المبحوح،لهم اليقظة والاستنفار الدائم، ولنا الكوابيس والاحلام، لهم النوم المريض ولنا الموت الرحيم، لهم المنطقة الخضراء ولنا البلاد المظلمة.»[٣٧]

لا يحيل هذا النشيد إلّا إلى النهايات... نهاية موحشّة ترتسّم على الوجوه التي تنتمي إلى الجموع المهمشة، وتبتعدعن السلطة وجبروتها، فالإنسان لم يعد ذلك الكائن العاقل وليس ثمة ثابت نتحرك في إطاره (فهناك تداخلٌ الأيديولوجي مع الديني والثقافي والمعرفي والسلطة ورأس المال هي من تدير هذه الإشكالية)، إذ إن هذه الثوابت (كما تعرض في المتاهات) هي ما شكَّلت هذه التبعية المظلمة، وهي ما حوَّلت الطبيعة إلى جسد ميّت لا يقوى على إعادة نفسه.

إن بعث الإنسان أو ما يسمى بحركة ما بعد الإنسان التي تدعمها بقوة توجهات ما بعد الحداثة والنقد البيئي[٣٨] نجدها ماثلة في أفكار برهان شاوي عبر متابعتها وتحويلها إلى نصٍ رافضٍ (نص المتاهات) فهو لا يؤمن بالمصير الذي وصلت له الإنسانية ويطالب بتغيَّر وجهة التفكير اعتماداً على حركية الفكر وإرجاع الطبيعة إلى بدايتها الأولى، فقارئ الألفية الثانية لم يعدّ قادراً على استيعاب هذا التغيير الكبير الذي اجتاح الإنسان وخرب علاقته بالطبيعة فهو مشارك فعّال في هذا الخراب،وهو في الوقت نفسه مطالب بإعادة تصوراته، فإنسان الرقمنة غادر منطقة الألفة وتحول إلى أداة في يد الاتمتةِ التي شكلّتْ وعيهُ وطرائق استجابته، برهان شاوي يخرج من هذا الاطار عبر سرد المقولات الكبرى المؤسسة للوعي ويرجحُ أن

يكونَ مدخلهُ السؤال بإعادة صياغة الأجوبة، ليصل إلى نتيجةٍ جديرةٍ بالتأملِ «قادني تديني إلى الإلحاد، والإلحاد إلى الإيمان، فاكتشف نور ذاتي في الوجود المرئي واللا مرئي. وبين تديني وإلحادي تترمى مجرات من الأسئلة المضيئة والمطفأة. بين إلحادي وإيماني تتراقص مجرات من النور الحليبي. وتتراكم محيطات من الضوء الأسود، لست بطلاً، الأبطال الحقيقيون ينامون في القبور الجماعية تحت قبور بلا شواهد، الموتى وحدهم هم الأبطال، الموتى وحدهم من يحملون الأزهار الذابلة ويمضون إلى كرنفال الحقيقية.»[٣٩]. ولعل هذه الرؤية الفكرية متضمّنةً للفعل الإيكولوجي الذي هو في النهاية مُعطى واقعي يمكن للإنسان لمسه، ولعلنا نراها تتماشى مع ما طرحهُ (نيتشه) في محاولة منه لجعل (الإنسان/ الرجل) ليس مجرد كينونة بشرية تتحرك في إطار النمطية الثابتة، وإنَّما هو كينونة تتخطّى مفهوم الرجل إلى الكثرة عبر الفعل والتعدد في انتاج المعنى وذلك بالتخلّي عن فكرة الارتقاء عن الأرض والعوّدة إليها وتشكيلها بفعل اللحظة الزمنية الآنية لتكون مواكبة لديمومتها، فديمومة الأرض رؤيوية وهي سبب بقاءه...ومرة أخرى يلتقي برهان شاوي مع إشكالية التيه التي يبحث عنها الفلاسفة ونيتشه واحد منهم، عبر السؤال الجوهري الذي يؤكد على فعل النهاية و أين نحن منه؟ وما الحلّ الذي ينهي التضّاد العنيف بين إنسان الرقمنة في الالفية الثالثة وعلاقته بالأرض ؟ يقول نيتشه في معرض حديثة عن العلاقة الجدلية بين العنف واللاعنف بين الإنسان والمكين (الأرض): «دعونا نحذر من أن ننسب لها عدم الرحمة، وعدم التعقّل أو انقباضها: إنَّها ليست كاملة ولا جميلة ونتمنى أن تصبح أبا لهذه الأشياء فلا

ينطبق عليها أيا من أحكامنا الجمالية والأرضية»[٤٠] برهان شاوي يخرج من عدمية (نيتشه) في علاقته الإيكولوجية إلى وجودية تتآخى مع الأرض عبر الرؤية المعرفية المقترنة بالفعل الوجدي القائم على أساس الحب في انتاج المعرفة، ولذلك يؤكد خروجه من المتاهة (العالم الخليع بتعبير نيتشه) «فتشت عن معنى للحياة فلم أجده ألّا في الحبّ، لا، ليس المعنى في الحبّ، لكن هو الوسيلة لنواجه ضجر الحياة «[٤١] تُرى هل ثمة التقاء بين عدمية نيتشه ووجودية شاوي المقترنة برومانسية قادرة على إعادة فعل التصحّر وكشف عيوبه، أم أن شاوي لا يعدو أن يكون روائيا يضع أفكاره؛كي تتسّق، بغض النظر عن ظلالها في الواقع. فالدعوة بالإصغاء « أصغِ إليَّ يا قارئ هذه الصفحات، أنت قد تبحث عن أثمي وتفتش عن خطيئتي وها أنا أقول لك: لم تكن أيامي أياماً كنت ظلاً تائها في أرض الموت»[٤٢] هي دعوة ضد موت الأمكنة قبل الإنسان «فكلنا آثمون. لا أبرياء هنا سوى الأشجار»[٤٣] لأننا أعدمنا السوسنة « أعدمنا مسببات البقاء»[٤٤] الحبّ بداية وجودية لكنه يتحوّل إلى خطيئة أينما يؤول ليكون «من أجل الحبّ نقتل الآخرين، وباسم الحبّ نشن الحروب، باسم الحبّ نوقد جحيم الانتقام! بل باسم الحبّ نكره ونحقد»[٤٥].

والواقع أن تطرق مسماراً في نعش الموت أفضل من تتركه يجرّك إلى فلكه، ومسمار شاوي حلقة مستمرة تمثّل رفضيَّات إنسان الأف الثاني الرقمي لغياب الأرض من حسابته؛ ممّا جعله رهيناً لاضطراباتها التي تتشكّل بفعل الإنسان نفسه وهنا تتحقق الرؤية والاشتراك بين (نيتشه) وشاوي متجسّدة بفعل الخلق الذي يفضي إلى معنى، فالمعنى وحدهُ ما يمكن أن يقاوم متاهات الكون السحيق.

النتائج:

١- قدَّم برهان شاوي متناً روائياً يعتمد على المتوالية الروائية التي أسست لفكرة مراجعة المدونات السردية الكبرى التي تحرك الإنسان وتجعله مركز اهتمامها، وقد حاول قلب هذه الآلية عبر التركيز على الما حول بوصّفه يمثل جزاء أساسياً في خلق المعنى؛ ولذلك أي تغيَّر فكري أو إيكولوجي له أثر في طبائعهِ وطرائقِ تقبلهِ للحياة، فالخطيئةُ مثلاً انتقلَ أثرها إلى المحيطِ فأصيبتْ بالذهانِ الفكري كما الإنسان بـ(معنى المجازي) فتحوّلتْ إلى بيئةٍ ميتةٍ بسببِ موتِ الإنسانِ نفسه؛ لأنَّهُ سحقَ الذاتَ الخضراء في داخله فمات الما حول.

٢- الروية الجديدة تستنهض المعرفة وتثير الأسئلة وتغادر البناء الفني الجاهز، هو ما سعى إليه الروائي عبر ثبات الشخصية وتعدد أفعالها (آدم البغدادي، آدم التائه، الخ) أو عبر تعدد الأمكنة وتحولّاتها الثقافية والفلسفية لتنتج إنسان الرقمية في الألفية الثانية إنسان مكبل بالماضي ومرتبط بحاضر يحاصره ذُهان وجودي انتقل أثره إلى البيئة فلم يستطع إنسان الرقمنة مغادرة هذه اللحظة.

٣- الذاكرة والتاريخ جدلية مقترنة بالمتاهات استطاع برهان شاوي أن يميَّز بينهما وبين أثرهما على الذات البشرية بواسطة فكَّ الارتباطِ بين الهيمنةِ والسلطةِ بين رأسمال الثقافي وموقف الإنسان الحرّ الذي يغادر الثبات الفكري والدخول إلى نسبية الحقيقة.

٤- التقدمُ الفكريُ يقابلهُ تأزمٌ إيكولوجيٌ يشكلُ أزمةً حقيقةً لإنسانِ العصرِ الحديث، يجب أن يرافق هذا التقدّم فعلاً بشرياً كونياً لمواجهة التحديات الايكولوجية التي في حقيقتها تازمات فكرية قبل أن تكون إشكالاتها إيكولوجية.

الهوامش:

١- نظرية الداروينية التي شكّلت طفرة نوعية في تطور الفكر البشري، وقد حاولت تفسير التطور التدريجي لفكرة الخلق والتطور وهي من النظريات التي سيطرت على الفكر الأوربي منذ بدايات القرن العشرين إلى يومنا هذا، وقد قادت هذه النظرية الحركة العلمية وشكلّت نواة لكثير من التوجهّات الفلسفية والمعرفية والثقافية....للتوسع يمكن الاطلاع ١- أصل الأنواع: ١٠، نظرية تطور وأصل الانسان: ١٤ وما بعدها.

٢ -أصل الأنواع: المقدمة المحرر.

٣ - ينظر: بصمات داروين في الكون: ٣٥٤.

٤ - مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن: ٣٣٤.

٥ -ينظر النقد البيئوي: ١٩٥ وما بعدها.

٦ - الثورة الرقيمة، ثورة ثقافية: ١٩٥.

٧ -دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي: ١٠١.

٨ - الخروج من جهنم، انتفاضة وعي بيئي كوني جديد او الانقراض:٢٢. وينظر: الأنسان والبيئة، مقاربات فكرية واجتماعية واقتصادية: ١٥٥.

٩ - للتوسع في الموضوع ينظر: موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية،:ص١٦١.

١٠ -ينظر: القبائل دور العرق والدين والهوية في نجاح الاقتصاد العالمي: ٢٢٢.

١١ - ينظر لقاء خاص مع برهان الشاوي في برنامج (رؤِيا / برهان شاوي بين متاهته التسع)، قناة زاكروس بتاريخ ٣/ ٩/ ٢٠١٩.

١٢ - متاهة آدم: ٩.

١٣ - م. ن: ٧.

١٤ - م. ن: ٧.

١٥ - ينظر: دراسات في الواقعية:٨١ وما بعدها.

١٦ - م. ن: ١٩

١٧ - م. ن: ١٩ وما بعدها.

١٨ – م. ن: ٢٣.

١٩ – م. ن: ٧٠

٢٠ – م. ن: ٧١

٢١ – يمكن القول: إن ّ التداخل والانفتاح في بنية المكان والزمان وتغير الحبكة وتولدها في اعمال برهان شاوي،ربما يكون أصله تتناص مع الواقع الوجودي المتقلب المتصف بالفعل الفرضي الرقمي والتوسع الفكري الهائل،والسرعة بالتبدل الحضوري وتبدل مفهوم الإنسان وإعادة تشكله باستمرار.

٢٢ – ينظر: السعي إلى الأمكنة: ٢٧١.

٢٣ – متاهة حواء: ٥٣٢:

٢٤ – متاهة حواء: ٥٥٥.

٢٥ – متاهة قابيل: ٧.

٢٦ –متاهة قابيل: ٣٧٣.

٢٧ – م. ن:٣٧٣.

٢٨ – متاهة قابيل: ٣٧٤.

٢٩ – ينظر: الانسان والبيئة، مقاربات فكرية واجتماعية واقتصادية: ٣٢،

٣٠ – متاهة قابيل: ٣٨٣.

٣١ – م. ن: ٣٨٥.

٣٢ –م. ن: ٣٨٦.

٣٣ – م. ن : ٣٩٩.

٣٤ –ينظر: الشيخ والمريد: ٢٣٨.

٣٥ –م. ن: ٤١٠.

٣٦ –ينظر: الملاذ الثقافي إعادة انتاج وجودنا فلسفياً ودينياً وسياسيا ً: ص ٦٥

٣٧ – متاهة الاشباح: ٢٧٣.

٣٨ – ينظر: الأدب والبيئة ومسألة ما بعد الانسان: ٣٦٦

٣٩ – متاهة الاشباح:٢٧٤.

٤٠ – النقد البيئي: ١٠٣.

٤١ – متاهة الاشباح: ٢٧٤،

٤٢ – م. ن: ٢٧٤.

٤٣ – م. ن: ٢٧٥.

٤٤ –م.ن: ٢٧٥.

٤٥ – م.ن: ٢٧٥.

المصادر والمراجع:

١- الادب والبيئة ومسألة ما بعد الإنسان " مجلة فصول / ملف خاص عن النقد البيئي / ٢٠١٨ / المجلد ٢٦/ ٢٢، ع ١٠٢، شتاء ٢٠١٨.

٢- أصل الأنواع: تشارلز داروين، ترجمة: سمير مظهر، هنداوي س أي س، ط١، ٢٠١٧.

٣- الانسان والبيئة، مقاربات فكرية واجتماعية واقتصادية: احمد علي سالم، واخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٧

٤- بصمات داروين في الكون، هندسة الاحياء وتطورها، معاذ سمير، ط١، إصدار دار أي، لندن،٢٠٢١.

٥- الثورة الرقمية، ثورة ثقافية؟: ريمي ريفيل، ترجمة سعيد بمبخوت، مراجعة الزواوي بغورة، سلسة عالم المعرفة، علا٤٦٢، يويلو، ط١، الكويت ٢٠١٨،

٦- الخروج من جهنم، انتفاضة وعي بيئي كوني جديد أو الانقراض، سعيد حبو، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٩.

٧- دراسات في الواقعية: جورج لوكاش، ترجمة: نايف بلوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٣، ١٩٨٥.

٨- دليل الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، د. سمير الخليل، مراجعة تعليق: سمير الشيخ، دار الكتب العلمية بيروت، د١، ٢٠١٦.

٩- السعي إلى الأمكنة، الان دو بوتون، ترجمة: محمد عبد النبي، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان بيروت: ط ١، ٢٠١٨

١٠- الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة يليه مقالة في النقد والتأويل، عبد الله

حموَّدي، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط٤، ٢٠١٠.

١١- القبائل دور العرق والدين والهوية في نجاح الاقتصاد العالمي: جويل كوتكن، ترجمة مازن حماد، مراجعة فاروق جرار، عمان، دار البشير للنشر والتوزيع ١٩٩٥.

١٢- لقاء خاص مع برهان شاوي في برنامج (رؤِيا / برهان شاوي بين متاهته التسع)، قناة زاكروس بتاريخ ٣/ ٩/ ٢٠١٩).

١٣- متاهة آدم برهان شاوي، بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، العراق بغداد، ٢٠٢٠.

١٤- متاهة الاشباح برهان شاوي، بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، العراق بغداد، ٢٠٢١.

١٥- متاهة حواء برهان شاوي، بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، العراق بغداد،٢٠٢١.

١٦- متاهة قابيل، برهان شاوي، بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، العراق بغداد، ٢٠٢١.

١٧- مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، حفناوي بعلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، / منشورات الاختلاف، ط ١، الجزائر، ٢٠٠٧،

١٨- الملاذ الثقافي إعادة انتاج وجودنا فلسفياً ودينياً وسياسياً / مجموعة من المؤلفين إشراف: ناجح المعموري، سلسة فكرية يصدرها اتحاد الكتاب العام والكتاب في العراق الكتاب الأول _ آذار ٢٠٢١.

١٩- موسوعة النظرية الثقافية، المفاهيم والمصطلحات الأساسية، أندرو إدجار وبيتر سيد جويك، ترجمة: هناء الجوهري، مراجعة وتقديم وتعليق: محمد الجوهري المركز القومي للترجمة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١،٢٠٠٩.

٢٠- نظرية تطور وأصل الإنسان: سلامة موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط بلا، ٢٠١٢.

٢١- النقد البيئوي: جورج جرارد، ترجمة: عزيز صبحي جابر، مراجعة: د. أجمد خريس، ط١، أبو ظبي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، ٢٠٠٩.

٢٢- النقد البيئي، مقدمات، ومقاربات، إعداد وترجمة: نجاح الجبيلي، دار شهريار، العراق البصرة، ٢٠